

فتح القدير

12 - { ا } الذي خلق سبع سماوات { الاسم الشريف مبتدأ وخبره الموصول مع صلته } ومن الأرض مثلهن { أي وخلق من الأرض مثلهن يعني سبعا .
واختلف في كيفية طبقات الأرض قال القطربي في تفسيره : واختلف فيهن على قولين : أحدهما وهو قول الجمهور أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض وفي كل أرض سكان من خلق { وقال الضحاك : إنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات والأول أصح لأن الأخبار دالة عليه في الترمذي والنسائي وغيرهما وقد مضى ذلك مبينا في البقرة قال : وفي صحيح مسلم عن سعيد بن زيد قال : سمعت النبي A يقول : [من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين] إلى آخر كلامه وسيأتي في آخر البحث ما يقوي قول الجمهور قرأ الجمهور { مثلهن } بالنصب عطفًا على { سبع سماوات } أو على تقدير فعل : أي وخلق من الأرض مثلهن وقرأ عاصم في رواية عنه بالرفع على الابتداء والجار والمجرور قبله خبره { يتنزل الأمر بينهن } الجملة مستأنفة ويجوز أن تكون صفة لما قبلها والأمر الوحي قال مجاهد : يتنزل الأمر من السموات السبع إلى السبع الأرضين وقال الحسن : بين كل سماء وبين الأرض وقال قتادة : في كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضائه من قضائه وقيل بينهن إشارة إلى ما بين الأرض السفلى التي هي أدناها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وهيئاتها فينقلهم من حال إلى حال قال ابن كيسان : وهذا هو مجال اللغة واتساعها كما يقال للموت : أمر { والريح والسحاب ونحوها قرأ الجمهور { يتنزل الأمر } من التنزل ورفع الأمر على الفاعلية وقرأ أبو عمرو في رواية عنه ينزل من الإنزال ونصب الأمر على المفعولية والفاعل { سبحانه واللام في } لتعلموا أن { على كل شيء قدير { متعلق بخلق أو بيتنزل أو بمقدر : أي فعل ذلك لتعلموا كمال قدرته وإحاطته بالأشياء وهو معنى { وأن { قد أحاط بكل شيء علما } فلا يخرج عن علمه شيء منها كائنا ما كان وانتصاب علما على المصدرية لأن أحاط بمعنى علم أو هو سفة لمصدر محذوف : أي أحاط إحاطة علما ويجوز أن يكون تمييزا .
وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله : { فحاسبناها حسابا شديدا } يقول : لم ترحم { وعذبناها عذابا نكرا } يقول : عظيما منكرا وأخرج ابن مردويه عنه { قد أنزل { إليكم ذكرا * رسولا } قال : محمد A وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير عن

ابن عباس أنه قال له رجل : { اﻟﺬﻯ ﺧﻠﻖ ﺳﻌﺐ ﺳﻤﺎﻭﺍﺕ ﻭﻣﻦ ﺍﻟﺄﺭﺿﻲ ﻣﺜﻠﻬﻦ } ﺇﻟﻰ ﺁﺧﺮ ﺍﻟﺴﻮﺭﺓ
ﻓﻘﺎﻝ ﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ : ﻣﺎ ﻳﺆﻣﻨﻚ ﺃﻥ ﺁﺧﺒﺮﻙ ﺑﻬﺎ ﻓﺘﻜﻔﺮ ؟ ﻭﺁﺧﺮﺝ ﺑﻦ ﺟﺮﻳﺮ ﻭﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﺣﺎﺗﻢ ﻭﺍﻟﺤﺎﻛﻢ
ﻭﺼﺤﻪ ﻭﺍﻟﺒﻴﻬﻘﻲ ﻓﻲ ﺍﻟﺸﻌﺐ ﻣﻦ ﻃﺮﻳﻖ ﺃﺑﻲ ﺍﻟﺤﺨﻲ ﻋﻦ ﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ : { ﻭﻣﻦ ﺍﻟﺄﺭﺿﻲ ﻣﺜﻠﻬﻦ }
ﻗﺎﻝ : ﺳﻌﺐ ﺍﺭﺿﻴﻦ ﻓﻲ ﻛﻞ ﺍﺭﺿﻲ ﻧﺒﻲ ﻛﻨﺒﻴﻜﻢ ﻭﺁﺩﻡ ﻛﺄﺩﻡ ﻭﻧﻮﺥ ﻛﻨﻮﺥ ﻭﺇﺑﺮﺍﻫﻴﻢ ﻛﺄﺑﺮﺍﻫﻴﻢ ﻭﻋﻴﺴﻰ
ﻛﻌﻴﺴﻰ ﻗﺎﻝ ﺑﻴﻬﻘﻲ : ﻫﺬﺍ ﺇﺳﻨﺎﺩ ﺻﺤﻴﺢ ﻭﻫﻮ ﺷﺎﺩ ﺑﻤﺮﺓ ﻻ ﺃﻋﻠﻢ ﻟﺄﺑﻲ ﺍﻟﺤﺨﻲ ﻋﻠﻴﻪ ﻣﺘﺎﺑﻌﺎ ﻭﺁﺧﺮﺝ
ﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﺣﺎﺗﻢ ﻭﺍﻟﺤﺎﻛﻢ ﻭﺼﺤﻪ ﻋﻦ ﺑﻦ ﻋﻤﺮﻭ ﻭﻗﺎﻝ : ﻗﺎﻝ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺃﻟﻪﻣ ﺃﻥ ﺍﻟﺄﺭﺿﻴﻦ ﺑﻴﻦ ﻛﻞ
ﺍﺭﺿﻲ ﻭﺍﻟﺘﻲ ﺗﻠﻴﻬﺎ ﻣﺴﻴﺮﺓ ﺧﻤﺴﺎﺋﺔ ﻋﺎﻡ ﻭﺍﻟﻌﻠﻴﺎ ﻣﻨﻬﺎ ﻋﻠﻰ ﻇﻬﺮ ﺣﻮﺕ ﻗﺪ ﺗﻘﻰ ﻃﺮﻓﺎﻩ ﻓﻲ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ
ﻭﺍﻟﺤﻮﺕ ﻋﻠﻰ ﺻﺨﺮﺓ ﻭﺍﻟﺻﺨﺮﺓ ﺑﻴﺪ ﻣﻠﻚ ﻭﺍﻟﺘﺎﻧﻴﺔ ﻣﺴﺠﻦ ﺍﻟﺮﻳﺢ ﻓﻠﻤﺎ ﺃﺭﺍﺩ ﺍﻟﻠﻪ ﺃﻥ ﻳﻬﻠﻚ ﻋﺎﺩﺍ ﺃﻣﺮ
ﺧﺎﺯﻥ ﺍﻟﺮﻳﺢ ﺃﻥ ﻳﺮﺳﻞ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺭﻳﺤﺎ ﻳﻬﻠﻚ ﻋﺎﺩﺍ ﻓﻘﺎﻝ : ﻳﺎ ﺭﺏ ﺃﺭﺳﻞ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﻣﻦ ﺍﻟﺮﻳﺢ ﻗﺪﺭ ﻣﻨﺨﺮ
ﺍﻟﺘﻮﺭ ؟ ﻓﻘﺎﻝ ﻟﻪ ﺍﻟﺠﺒﺎﺭ : ﺇﺫﻥ ﺗﻜﻔﺄ ﺍﻟﺄﺭﺿﻲ ﻭﻣﻦ ﻋﻠﻴﻬﺎ ﻭﻟﻜﻦ ﺃﺭﺳﻞ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺑﻘﺪﺭ ﺧﺎﺗﻢ ﻓﻬﻲ ﺍﻟﺘﻲ
ﻗﺎﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﻓﻲ ﻛﺘﺎﺑﻪ : { ﻣﺎ ﺗﺬﺭ ﻣﻦ ﺷﻴﺌﻲ ﺃﺗﺖ ﻋﻠﻴﻪ ﺇﻻ ﺟﻌﻠﺘﻪ ﻛﺎﻟﺮﻣﻴﻢ } ﻭﺍﻟﺘﺎﻟﺜﺔ ﻓﻴﻬﺎ ﺟﺮﺓ
ﺟﻬﻨﻢ ﻭﺍﻟﺮﺍﺑﻌﺔ ﻓﻴﻬﺎ ﻛﺒﺮﻳﺖ ﺟﻬﻨﻢ ﻓﻘﺎﻟﻮﺍ : ﻳﺎ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﻟﻠﻨﺎﺭ ﻛﺒﺮﻳﺖ ؟ ﻗﺎﻝ : ﻧﻌﻢ ﻭﺍﻟﺬﻯ
ﻧﻔﺴﻲ ﺑﻴﺪﻩ ﺇﻥ ﻓﻴﻬﺎ ﻟﺄﻭﺩﻳﺔ ﻣﻦ ﻛﺒﺮﻳﺖ ﻟﻮ ﺃﺭﺳﻞ ﻓﻴﻬﺎ ﺍﻟﺠﺒﺎﻝ ﺍﻟﺮﻭﺍﺳﻲ ﻟﻤﺎﻋﺖ [ﺇﻟﻰ ﺁﺧﺮ ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ
ﻗﺎﻝ ﺍﻟﺬﻫﺒﻲ ﻣﺘﻌﻘﺒﺎ ﻟﻠﺤﺎﻛﻢ : ﻫﻮ ﺣﺪﻳﺚ ﻣﻨﻜﺮ ﻭﺁﺧﺮﺝ ﻋﺜﻤﺎﻥ ﺑﻦ ﺳﻌﻴﺪ ﺍﻟﺪﺍﺭﻣﻲ ﻋﻦ ﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﻗﺎﻝ
: ﺳﻴﺪ ﺍﻟﺴﻤﻮﺍﺕ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ ﺍﻟﺘﻲ ﻓﻴﻬﺎ ﺍﻟﻌﺮﺵ ﻭﺳﻴﺪ ﺍﻟﺄﺭﺿﻴﻦ ﺍﻟﺄﺭﺿﻲ ﺍﻟﺘﻲ ﻧﺤﻦ ﻓﻴﻬﺎ